ويتحكم المقام وملابساته في تنكير المسند إليه ، كأن يكون المقام للإفراد شخصاً أو نوعًا ، أو يكون غير صالح للتعريف لجهل المتكلم ببعض جوانب المسند إليه ، أو لتجاهله لهذه الجوانب ، أو غير ذلك من الملابسات التي تتصل بمقام الكلام .

وكذلك الأمر بالنسبة لتنكير المسند حيث يرد في مجال الحكاية عن نكرة ، أو عندما يراد به وصف غير معهود ولا مقصود ، بحيث يحصره في المسند إليه [١].

ويمثِّل الالتفات خاصية بارزة في حركة الصياغة موضعيا ، حيث تتحور اللفظة في موضعها تحوراً غير مألوف يفرز دلالة فيها كثير مما لا يتوقعه المتلقي ، وفيها كثير من إمكانات المبدع في استعمال الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة ، وربما لهذا نقله السكاكي من مباحث البديع إلى مباحث المعاني لاشتماله على خواص تركيبية تتلازم مع مقتضى الحال ، ففي قول امرئ القيس :

تَطاوَلَ لَيْلُكَ بِالإثْمِدِ وَنامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ
وَباتَ وَباتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذي العائِرِ الأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَإٍ جاءَني وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أَبي الأَسْوَدِ [٢]

كان ظاهر الحديث يقتضي أن تأتي الصياغة بلسان المتكلم ، ولكنه أحدث نوعًا من الحركة في نقطة وضع الضمير فحدث هذا التحوُّل الصِّياغيُّ . والعدول من صيغة إلى أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية

(١) السكاكي : مفتاح العلوم ، ص ٩١ . (٢) المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ٨٧ .